نمر جبر

منتخب لبنان لكرة القدم: إخفاق وراء إخفاق أما آن لهذا البؤس أن ينتهي؟

من العام 2000 الى العام 2024 تغيرت وتبدلت امور كثيرة، الا نتائج منتخب لبنان لكرة القدم؟ ورغم ان الزمن في العام 2000 كان مختلفا في كل شيء عن زمننا الحالي، الا في نتائج المنتخب الوطني الذي خرج في العام 2000 من دور المجموعات في نهائيات كأس اسيا لكرة القدم التي استضافها في لبنان، والمشهد لم يتغير في العام 2024 في قطر

في العام 2024 البلد كله اصبح مختلفا، الا في لعبة كرة القدم. تغيرت اتحادات، شيدت ملاعب، اقفلت اخرى، اعتزل حكام، اعتزل جيل واكثر، صرفت مئات ملايين الدولارات، وكرة القدم اللبنانية لم تتطور او تتحسن بل ظلت غارقة في ضعفها وفشلها. 24 عاما قبل المشاركة الاسيوية الثالثة لمنتخب لبنان في نهائيات كأس آسيا، لم يتبدل المشهد. لبنان يتذيل ترتيب المجموعة الاولى برصيد نقطة (خسارة امام قطر 0-3، تعادل مع الصين 0-0، وخسارة امام طاجيكستان 1-2) ليخرج من المنافسة من الدور الاول.

الخروج من المنافسة ليس موجعا فقط بل مؤلما الى حد كبير، لانه جاء امام منتخب مغمور لكنه مجتهد. منتخب طور نفسه بسرعة وبخطى ثابتة. منتخب اتحاده لكرة القدم، الذي تأسس في العام 1936، لم ينضم الى الاتحادين الدولي "فيفا" والاسيوي لكرة القدم الا في العام 1994، اي بعد عامين فقط على خوض منتخبه الاول اولى مبارياته الرسمية امام اوزبكستان (1992). في حينه، لم يكن هذا المنتخب قد دخل التصنيف بعد، واليوم اي بعد 30 عاما، يتأهل الى الدور الـ16 في نهائيات كأس آسيا التي استضافتها العاصمة القطرية الدوحة، للمرة الاولى في تاريخه، وخلال مشاركته الاولى فقط. لقد حقق منتخب طاجيكستان في مشاركته الاولى فوزه الاول، وسجل هدفين امام منتخب لبنان الذي سجل ثالثة مشاركاته وفشل فيها مجددا في التأهل الى الدور الثاني، ليقبع في المركز الاخير في مجموعته، وخلف طاجيكستان في التصنيف الدولي.

هو القدر؟ او ربما غيره، اراد ان تتأهل طاجيكستان على حساب لبنان تحديدا، وبعد ثلاثة اشهر فقط على فوز الاتحاد اللبناني لكرة القدم بجائزة افضل اتحاد وطني، مقدمة من الاتحاد الاسيوي للعبة... ووفق الامين العام للجنة التنفيذية للاتحاد اللبناني لكرة القدم، فان هذه الجائزة "تعكس مدى شفافيته الاتحاد وتطوره على كل الصعد، الفنية، الادارية والمادية". جائزة لم تخف الاخفاق الميداني المتمثل بفشل كل المنتخبات من اي فئة عمرية بالتأهل الى اي بطولة قارية او بتحقيق اي نتيجة ايجابية. هو الفشل عينه، الذي دفع جمهور اللعبة الى هجر ملاعبها، وحصر اللعبة في ملعب واحد، واوصل مستوى بطولة الدوري المحلي الى ادنى مستوياتها. هو الفشل نفسه الذي اهدى الهند وتايلند وطاجيكستان انتصارات تاريخية على لبنان في عام واحد، لا بل وضع بنغلادش ومنغوليا في مستوى واحد مع منتخب الارز.

تعيش كرة القدم اللبنانية في نفق مظلم منذ اعوام، لا بصيص نور في وسطه ولا في آخره. نستطيع التذرع بالاوضاع الحياتية والمعيشية والاقتصادية وبكل ما يحوط بلبنان، ولا احد تستطيع ان ينكر ان في بعض هذه الحجج شيء من الحقيقة والواقع، لكن كيف لكرة القدم اللبنانية التي باتت تفقد شعبيتها تدريجا، ان تحمل هذا الفشل الذريع في البلد عينه الذي حملت فيه كرة السلة ثلاثة منتخبات الى كأس العالم دفعة واحدة، وفي سنة واحدة؟

صحيح ان هناك اختلافات بين اللعبتين وهي ليست كثيرة بل محددة، ولكن رغم هذه الفوارق يمكن للجمهور ان يستخلص من هاتين النتيجتين مدى الاخفاق الفني والاداري في اللعبة الاولى، مقارنة باللعبة الثانية. وهي ادارة بدأ عهدها في اللعبة الاولى بعد عامين من استضافة لبنان نهائيات بطولة آسيا لكرة القدم على ارضه، اي في العام 2002 وهي لا تزال صامدة على الرغم من كل الاخفاقات، فلا استقالات تقدم، ولا هي تقبل في حال قدمت، وحتى لا يؤخذ بها حين يطلب احد اعضاء اللجنة التنفيذية استقالة جماعية، لا بل يبقى هو ايضا جالسا في مقعده.

مؤلم الشعور بعدم التأهل الى الدور الثاني من بطولة آسيا، لكن ما هو اكثر ايلاما هو التأهل ثم الخروج من البطولة في مباراة واحدة وفي دقائق معدودة. هذا ما حصل مع لبنان، منتخبا، لاعبين، اداريين، مسؤولين، اضافة الى الجمهور. مساء الاثنين 22 كانون الاول الماضي تأهل لبنان الى الدور الثاني من البطولة الاسيوية في العاصمة القطرية الدوحة، لكنه ما لبث ان خرج منها خالي الوفاض! تأهل بعد ان تقدم على طاجيكستان 1-0 عبر باسل جرادي في الدقيقة 48، لكنه لم يحافظ على هذا التأهل بعدما اهتزت شباكه مرتين ليخرج خاسرا بنتيجة 1-2. على ملعب جاسم بن حمد الخاص في نادي السد، عاش اللبنانيون مشاعر وطنية، حماسية ومفرحة، تضاربت مع مشاعر القلق، الحزن والخيبة. مشاعر خبرها كل مَن كان في الملعب او مَن تابع المباراة من خلف الشاشة الصغيرة.

الاثنين 22 كانون الاول 2024 كان لبنانيا بامتياز، وكاد يكون تاريخيا للكرة اللبنانية. كان الجمهور اللبناني الذي حضر باعداد كبيرة فاقت 10 الاف مشجع (الحضور الجماهيري في الملعب بلغ 11,843 الف، 95 في المئة منهم لبنانيون) يستحق ان يفرح بالتأهل للمرة الاولى في تاريخ الكرة اللبنانية الى دور الـ16. حضر العلم اللبناني ومعه الجمهور المقيم والزائر. لقد حوّل الجمهور اللبناني منطقة سوق واقف، التي تعتبر قلب بطولة آسيا في العاصمة القطرية الدوحة، الى ساحة للاحتفال واطلاق الهتافات والاهازيج التي جذبت كل زوار السوق وجماهير المنتخبات الاخرى. كان واضحا السيطرة اللبنانية على المدرجات خلافا للميدان، ولا نبالغ اذا قلنا ان افضل ما قدمه لبنان في البطولة هو جمهوره... من لحظة دخول المنتخب اللبناني قبل انطلاق المباراة، مرورا بعزف النشيد الوطني وصولا الى لحظات الغاء هدفين لطاجيكستان بداعي التسلل، بعد العودة الى تقنية فيديو الحكم المساعد (VAR). هذه التقنية التي اعطت المنتخب اللبناني بيدها اليمنى واخذت منه باليسرى. حافظت على شباكهم نظيفة مرتين، لكنها افقدتهم قائد دفاعهم قاسم الزين الذي نال بطاقة حمراء شهرها في وجهه الحكم بعد ان كان منحه بطاقة صفراء قبل ان يعود الى تقنية (VAR) ويقرر رفع البطاقة الحمراء في الدقيقة 55. هذه الدقيقة التي كانت نقطة تحول في المباراة حيث لعب لبنان بعدها بـ10 لاعبين وهو متقدم في النتيجة، لينتفض الطاجيك مستغلين النقص العددي في صفوف اللبنانيين ويسجلوا هدفين كانا كافيين كفيلين بانهاء مسيرة منتخب الارز في بطولة آسيا.

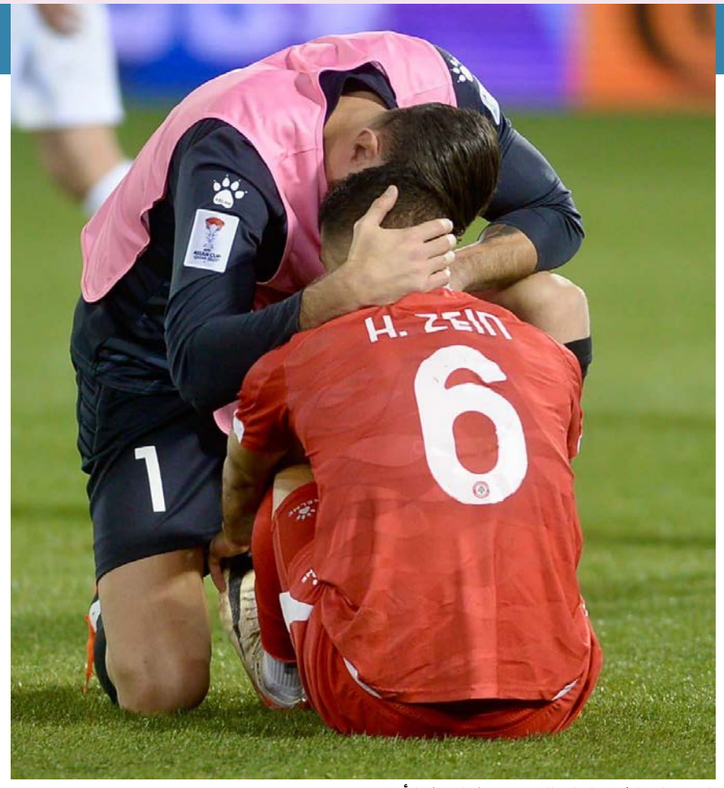

الحزن والاحباط خيما على اللاعبين بعد فشلهم في التأهل.

ليس خطأ تحليل المباريات ومحاولة فهم اسباب نتيجة مباراة من هنا وهدف من هناك، والبحث في الاسباب الكامنة خلف هذه النتائج عموما، ليس على صعيد بطولة كأس آسيا، او البطولات والتصفيات التي سبقتها، او التي ستأتي من بعدها، او على المستوى العام للعبة. وان كان لشخص ان يتجرأ بالقاء اللوم في هذه النتائج على خطأ لاعب او مدرب على ارض الملعب، فانه من الاجدى ان يبحث عن الاسباب الدافعة نحو الفشل العام الذي يلقي بظلاله حكما على اللاعبين والمدربين والاداريين وكل من له شأن في هذه اللعبة. وان كان لا بد من جواب عن السؤال، فان هذا البؤس لا ينتهي.

كيف يمكن ان ينتهي اذا كانت الدولة تتعمد طمس رأسها. جيد ان نسمع ونقرأ ان رئيس حكومة تصريف الاعمال نجيب ميقاتي اتصل برئيس الاتحاد المهندس هاشم حيدر قبل المباراة لتشجيع اللاعبين وحثهم على بذل الجهد لتحقيق الفوز، لكن ماذا قدم ميقاتي لكرة القدم؟ وماذا ساعد المنتخب ليقدم نتيجة جيدة؟ هل يعلم "ابن طرابلس" ان في مدينته ملعبين بمواصفات دولية في حاجة الى صيانة ليتمكن المنتخب من اجراء تمارينه وخوض مبارياته على ارضه وبين جمهوره كما بقيت المنتخبات في العالم؟ وهذا الامر ينسحب على وزير الشباب والرياضة جورج كلاس الذي بدل ان يبذل جهده لتأمين حاجات المنتخب، اقله ملعب لكي يتمرن في شكل جيد ويستفيد في المباريات الرسمية من عاملي الارض والجمهور، نراه منشغلا باصدار افادات متناقضة وتشريع اتحادات وهمية و"صب الزيت على نار" الخلافات في الوسط الرياضي. كذلك يعلم وزير الداخلية القاضي بسام المولوي الذي زار بعثة المنتخب في الدوحة وصافح افرادها فردا فردا، ان قرار منع الجمهور من حضور المباريات يضرب اللعبة في الصميم، فهل من يسمع؟

انتهت المباراة وخيّم الحزن على الكرة اللبنانية وعلى اللبنانيين في الدوحة وبيروت ودول الاغتراب. معظم لاعبي المنتخب على الارض. بعضهم يذرف الدموع. وقسم منهم يبكي في شكل ظاهر ومنهم مَن يبكي في داخله. يبكون حلما ضاع بعدما كان في متناول اليد!

لكن المشهد الاكثر ايلاما كان في منطقة الاحماء الداخلية المقابلة لغرف ملابس اللاعبين. هناك جلس قاسم الزين في الزاوية يبكي. يشعر كابتن الفريق بالذنب، ويعلم جيدا ان طرده كان عاملا مؤثرا في الخسارة والخروج.

وسط كل هذا التناقض عاش الجمهور اللبناني مشاعر جميلة، رغم عدم اكتمالها. شعور التأهل ولو لفترة قصيرة. فرح التأهل امر مشروع لكل لبناني. هذا قائم في الظروف الطبيعية، لكن في ظل الظروف التي تعيشها الكرة اللبنانية اداريا وفنيا وغياب اي دعم رسمي لها، سوى اتصالات للدعم والتشجيع من مسؤولين رسميين، يصبح الحلم حبرا على ورق، في بلد ممنوع عليه ان يفرح.

نعم يحق للجمهور اللبناني الذي يتابع منتخب بلده في كل بلد ان يسأل: متى ينتهي كل هذا البؤس؟